كيف

تسعدين زوجك

وترضين ربك

بقلم

عطيات محمد صبحى

الناشر
مكتبة المعارف الحديثة
23 شارع تاج الرؤساء - سابا باشا - الإسكندرية
تليفون : 5713656

إهـــداء

إلي أهلي الأعزاء

إلي والدي الغالي

وإلي كل الزوجات المسلمات

وإلي صديقاتي الأعزاء

مقـدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل مخلوق وخير مبعوث، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

أختاه ...

السعادة الزوجية غاية كل أسرة مسلمة كانت أم غير مسلمة.

ولكن السعادة الحقيقية لا يعرفها إلا من عاش بالإسلام قلباً وقالباً.

فالمرأة الصالحة هى التى تجعل بيتها جنة الدنيا بذكاءها وحبها لله ورسوله وإخلاصها لزوجها وطاعته والقناعة التى حثنا عليها الإسلام.

فجعل النبى ﷺ المرأة الصالحة فى مقدمة أسباب السعادة فهى التى تملأ البيت عبيراً صافياً ببسمتها الحانية .

فهيا أختى المسلمة: كسونى شمساً تضئ لزوجها وأولادها ، بل ولأمتها المسلمة طريقها إل الله وإلى نصرة دين الله.

أسأل الله لكل مسلمة زوجة كانت أم فتاة تقبل على الزواج أن يهديها الله إلى السعادة الحقيقية وأن يجعلها للإسلام وبالإسلام عوناً على أعداءه.

وأن يوفقنا الله إلى هذه السعادة ويرزقنا إياه.

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

صدق الله العظيم

آية ٦٩ من سورة النساء
«قرآن كريم»

حقوق لها وعليها

أختاه لو كل زوجة عرفت حقوقها التى لها والحقوق التى عليها ستكون على موعد مع السعادة الحقيقية وتسعيدين زوجك وترضين ربك وتملأين بيتك بالسعادة والحب والحياء والعطف الذى يشملهما الإسلام بكل قيمة وأخلاقياته السامية الجميلة فإن رضيت بحقوقك وأدركتها جيداً لتكونين أنتى نفسك السعادة التى يسعى إليها زوجك وأطفالك وسيكون بيتك هو بيت السعادة الحقيقية.

حقوق عليها

والقول الثانى فيه: أن النكاح نوع رق فهى رقيقة له، فعليها طاعة الزوج مطلقاً فى كل ما طلب منها فى نفسها مما لا معصية فيه، وقد وردت فى تعظيم حق الزوج على زوجته أخبار كثيرة منها: قال رسول الله ﷺ «أيما أمرأة ماتت وزوجها عنها راضى دخلت الجنة».

أيتها الزوجة والفتاة المسلمة كونى له قرة عينه وطاعته وسكنه كونى له صديقة . وأم وأخت وحبيبة وزوجة يكون لك كل ما تتمنين فيه».

أوامر زوجى طاعة له ولله

(١)

يا سيدتى : سأروى لكى قصة متداولة فى حياتنا كثيراً جداً وفى حياة من سبقونا.

هذا أمر من أوامر الزوج على زوجته لا أنا لا أسميه أمر ولكن أقول أنه

طاعة لله ولرسول ولزوجها وكان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى أمراته أن لا تنزل من العلو إلى أسفل. كان أبوها فى الأسفل فمرض أبوها فأرسلت المرأة إلى رسول الله ﷺ نستأذن فى النزول إلى أبيها فقال ﷺ أطيعى زوجك فمات أبيها فأرسلت المرأة إلى الرسول ﷺ أطيعى زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله ﷺ يخبر أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها وقال ﷺ: «لو أمرت أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظمة حقه عليها» (صحيح الترمذى)

إغضاب الزوج

وقول الله تعالى:(فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله)، عن أبى هريرة رضى الله عنه – مرفوعاً «والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشة فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها زوجها – وفى رواية إلا لعنتها الملائكة حتى تصبح» أخرجاه

أيتها الفتاة المقبلة على الزواج والأخت والزوجة المسلمة ولو أدركتى أن طاعة زوجك هى من طاعة الله لا تجنبتى لنفسك متاعب كثيرة.

لو أنك نظرتى لزوجك ولأوامره لكى على أنها أوامر لأرضاء الله لأطعتى زوجك.

سيدتى لا تنفذى مطالب زوجك بكل سلبية ولكن ناقشيه فى كل الأمور بهدوء وحب وحنان كونى له السكن تغلغلى داخل مداركه بكل ذكاء تعرفى على عقله بكل محبة نفذى أوامره على أقتناع وطيب خاطر بكل حب لله

ولزوجك نفذى أوامره، أو مثلهما كان يفعلن زوجات الرسول والصحابة كونى الصديقة والحبيبة والزوجة والأخت والأم أجعليه صغيرك المدلل فلو فعلتى ذلك سترين الحياه بعين لن تراها زوجة متعصبة تجعل زوجها نداً لها لو فعل هكذا سأفعل أنا مثله فى كل شئ لا أيتها الزوجة فالرجل هو الرجل مد قبطان حياتك وهو أب لأولادك وهو ستر لكى وهو حبيبك وزوجك وليس عدو لكى .

امرأة مسلمة مسئولة منها الدنيا مئات في كل القرون

قال ابن عباس : أتت أمرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت أتى أمرأة أيم وأرد أن أتزوج فما حق الزوج قال : إن حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهى عن ظهر بعير لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطى شيئاً من بيته إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تد وم تطوعاً إلا بإذنه، فإن فعلت جاعت وعطشت، ولم يتقبل منها وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب.

روشتة لكل عروس مسلمة

من حق الفتاة المسلمة أن يعلما الوالدين حسن المعاشرة وأداب العشرة مع الزوج: وكما روى أن أسماء بنت خارجة الغزارى قالت لابنته عند التزويج: ... إنك خرجت من العش الذى فيه درجت فصرت إلى فراش لا تعرفينه وقرين لن تألفيه فكونى له أرضاً يكن لك سماء، وكونى له مهاداً ، يكون لك عمادا، وكونى له أمة، يكون لك عبداً، لا تحلفى به، ولا تباعدى

عنه فينساك، إن دنا منك قربى منه وإن نأى فأبعدى عنه وأحفظى أنفه وسمعه وعينه فلا يشم منك إلا طيباً ولا يسمع إلا حسنا، ولا ينظر إلا جميلاً.

هذه هى روشتة زواج سعيدة لو أخذتها كل فتاة وحفظتها فى عقلها دون أن تمزقها سترى السعادة فى معصمها وبين يديها كل يوم وستعيش فى بيت تحفه الملائكة بكل حب بكل إيمان سترى زهور الجنة يبعثن فى بيتها كل السعادة والسرور وهم أطفالها سينشأن فى جو كله حب وسعادة وهدوء وهو بيت الأخت الذى تعرف حقها وحق زوجها وترضى ربها وتنعم بالسعادة وهذا زوج يقول لزوجته

خذى العفو من تستديمى مودتى

ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

ولا تنقرينى نقرك الدف مره

فإنك لا تدرين كيف المغيب

ولا تكثرى الشكوى فنذهب بالهوى

ويأباك قلبى والقلوب تقلب

فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى

إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

قصة الأستاذ عبد الصبور والست حرمه

هذا الزواج مثال فاشل للزواج وهناك أمثلة كثيرة من هذا النوع هذا

الزواج لا يوجد فيه تكافوء بين الطرفين فلا يريد أحد الأطراف التنازل عن الذى هو فيه.

الأستـاذ / عبد الشكور

موظف فى مصلحة ما دخله بسيط تزوج وأنجب من الأطفال ثلاثة قصته هو وزوجته مأساة زوجية تذكر وكل يوم بالاهانة.

فهو لا يلبى مطالبها وهى لا تراعى ظروفه ويتبادلان الحوار بمنتهى السخافة والزوجة تشتكى لكل من تقابله منه تتلفظ عليه بألفاظ لا يرضاها دين ولا خلق وهو كذلك يتعدى عليها بألفاظ وقحة أمام أصحابها والأخطر من هذا أمام الأطفال يتبادلان الشتائم بطريقة وقحة أمام الأطفال.

يا لا للمساكين ماذا تفعل البنت وهى ترى أمها وأبيها بهذه الغلاظة ترضى لأبيها وأمها الإهانة أتجمع هذه الطفلة فى عقلها هذه المواقف وتنقلها إلى المستقبل لكى نفعلها مع زوجها أم تستنكر ما يفعله أبيها وأمها ماذا تفعل.

سؤال: ما ذنب هؤلاء الأطفال فى كل هذه المشاجرات ما يفعلان فى ظل حياة ليس بها إستقرار ولا حب ولا مودة ماذا غاب عن هذا البيت أغاب عنه التعرف بالشئ لا أنهما ليس بجاهلين أنهما متعلمان ولكن غاب عنه الإسلام غاب عنها طاعة الله.

يا سيدتى لو أنك أحببتى نفسك لأطعتى زوجك .. كيف ؟ لا أظن أن هناك أمرأة خلقها الله لا تحب طفلها فحب طفل هو حب نفسك فلو أحببتى طفلك لا أدركتى أنكى لن ترضى له أن يعيش فى حياه كلها مشاكل لا

ترضى لطفلك حياة غير مستقرة وبذلك ستسعدين زوجك وطفلك وترضين ربك ونعمى بالسعادة عليكى .

تحطيم الروتين

أيتها الزوجة إن الحياة بكل أحزانها وآلامها لابد أن يكون فيها لحظات تسعد القلب وتجدد النشاط، وتملأ البيت كله سعادة ، فما الذى يمنع من أن تتعاونى مع زوجك على تحدد موعد لممارسة بعض الألعاب مع الأولاد فتلك الألعاب وبخاصة مع الصغار تجعل الزوج يمتلئ قلبه سروراً ولا تفارقه البسمة والبهجة .

وقد كان رسول الله ﷺ يسابق عائشة – رضى الله عنها وتسابقه فأرجو أن تحطمى روتين الحياة، وأن تجعلى الحياة تدب فى البيت.

– القناعة والزهـــد :

كانت عادة النساء فى السلف: إذا خرج الرجل من منزله تقول له أمرأته أو إبنته:

إياك وكسب الحرام، فإننا نصبر على الجوع والعطش ولا نصبر على نار جهنم.

ولقد هم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره، فقالوا لزوجته: لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة، فقالت : زوجى منذ عرفته أكالا وما عرفته رزاقاً، ولى رب رزاق يذهب الأكال ويبقى الرزاق

فأقنعى أيتها الزوجة بما عند زوجك ولا ترهقيه بالمطالب الكثيرة

وأرضى بما قسمه الله لسكى وله ترحين قلبك وتسعدين زوجك .

عن أبى سعيد رضى الله عنه: أن نبى الله ﷺ خطب خطبه فأطالها، وذكر فيها أمر الدنيا والآخرة، فذكر أن أول ما أهلك بنو إسرائيل أن أمرأة الفقير كانت تكلفة من الثياب أو الصيغ – أو قال: من الصيغة – ما تكلف أمرأة الغنى، (حديث) أخرجه ابن خزيمة فى التوحيد.

[الوصية الإسلامية]

أوصت إمامة بنت الحارس إبنتها حين زفتها إلى زوجها فقالت: (أى بنيه: إن الوصية لو كانت تترك لفضل أدب، أو لتقدم حسب، لزويت ذلك عنك، ولأبعدته منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل.

أى بنية: لو أن أمرأة استغنت عن زوج لغنى أبويها ، وشده حاجتهما إليها كنت أنى الناس عن ذلك، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال .

أى بنية: إنك قد فارقت الحمى الذى منه خرجت، وخلفت العش الذى فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأجنح بملكه عليك ملكيا فكونى له أمة يكن لك عبداً وشيكاً، وأحفظى له خصالاً عشراً، تكن لك ذخراً:

* أما الأولى والثانية: فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة حسن السمع والطاعة، فإن فى القناعة راحة القلب، وفى حسن المعاشرة مرضاه الرب.

* أما الثالثة والرابعة : فاطعا هذه لموضع عينيه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

* أما الخامسة والسادسة: فالتعرف لوقت طعامه، والتفقد لحين منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة!

* وأما السابعة والثامنة: فالأحتراس بماله والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر فى المال حسن التقدير، وفى العيال حسن التدبير.

* أما التاسعة والعاشرة: فلا تفشين له سراً ولا تعصين له أمراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره، وإن عصيت أمره أو غرت حدره، وأتقى مع ذلك قلة الفرح إذا كان فرحا، والإكتئاب إذا كان فرحا، فإن من التقصير والثانية من التكدير، وأشد ما تكونين له إعظاماً أشد ما يكون لك إكراماً وأشد ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك موافقة، وأعلمى يا بنة أنكِ تقدرين على ذلك حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وتقدمى هواه على هواك فبما أحببت أو كرهت ، والله يصنع لك الخير.

عروس المولد

تراها فى الشارع عروسة المولد بحق ولكن إذا دخلت هذه العروس البيت لن تراها عروس المولد كل من كان بها من جمال وزينة وترتيب قد زال.

لماذا يا سيدتى أهمك من فى الشارع هذه شكوى كثير من الأزواج من الزوجات المرأة المسلمة تراها تتزين لزوجها وتجعله يشعر دائماً بأنوثتها .. بل إنها دائماً تأتيه بكل جديد (بما لا يخالف الشرع) بحيث يشعر أن زوجته قد ملأت عليه الدنيا بأسرها .. بل إنه إن أرادها لم تتأخر عليه لحظة واحدة، لأنها تخشى من سخط الله عليها.

لابد للزوجة تضع زينتها لزوجها وأن تظهر له فى أبهى زينتها حتى تحميه من الفتن لابد أن ينظر إليها فيرى فيها جميع الصفات يراها متجددة متألقة جذابة دائماً فهى لم تبالى بأحد غير زوجها.

الكلمة الأولى لمن :
للزوج .. أم للزوجة

عفوا لكل الزوجات .. ولكننا تحدثنا طويلاً عن استبداد الرجل خاصة الشرقى بزوجته .. ولكن ماذا عن الزوجة المستبدة ؟

وتحت هذا العنوان كتب الأستاذ/عبد الوهاب يوسف فى مجلة العربى – العدد ٤٥٤ قائلاً :

خرجت الفتاة الصغيرة، صديقة شكسبير، من داره، ذات مساء، تبكى وتولول، وتحكى للناس دون خجل: لماذا يجب على شكسبير أن يتزوجها. والريف البريطانى يومئذ كان حياً بالعذرية، لذلك هددت الفتاة صديقها بالقتل ، إذا هو لم يف بوعده ويتزوجها.

وقد عاش شكسبير مع فتاته هذه بعد أن تزوجها حياة بالغة القسوة، فقد كانت من لون مشاكس، فلم يهدأ له بال وما استطاع أن يعيش فى بيته فى أمان واطمئنان، إذ أصلته هذه الزوجة العذاب المقيم .. لكنه أستطاع أن يكتب روائعه الخالدة رغم كل ذلك، وربما بسببه وهروبا منه.

ويبدو بعض الرجال فى المجتمع كأنما الواحد منهم (غضنفر) وإذا ما أحتواه بيته مع زوجته صار قطاً ذللاً، يعانى أشد المعاناة من زوجته سليطة اللسان، سيئة السلوك، فلا يستقر فى داره، ولا يبقى، وكثيرون من المسئولين

من ها الصنف، مما يدفعهم إلى الإنهماك فى العمل، وخلاله يسبون ويشتمون، وأيضاً يستبدون بمن يعملون معهم، كرد فعل طبيعى لما يجرى لهم داخل بيوتهم، والمسئول كرجل عام يصعب عليه تطليق زوجته، ويصعب عليه أيضاً أن يعايشها ويعاشرها.

والزوجة الطويلة اليد واللسان على زوجها موجودة على مدى التاريخ، والزوج المناضل من أجل حماية نفسه، وسمعته، يلقى الأمرين فى هذا المجال، لذلك صدق من يقولون فى أحاديثهم الشعبة: لا أحد يدرى بما يجرى وراء الأبواب المغلقة، والسؤال الذى يطرح نفسه:

– ما السبيل لتفادى هذا، والأزواج لابد أن تظهر هذه المآسى على تصرفاتهم وأعمالهم وقرارتهم؟

المستبدة .. شرقاً وغرباً

وقد روى لنا التاريخ كثيراً عن زوجات مستبدات متسلطات على أزواجهن، وزوجة شكسبير واحدة منهن، وهن كثيرات .. ويبدأ الأمر صغيراً، وخطوة خطوة، إلى أن يستفحل، ويصبح هو القاعدة، ولدينا موقف شعبى من مثل هذه الزوجة، مع ليلة الزفاف، ونعنى به أن يذبح أمامها قطة، لتكتشف صرامته وقوته وقدرته، لكن أحداً ما عاد يفعل ذلك، أو شبيهاً به، وإذا ما فعله فى وقت متأخر، يصبح بلا جدوى، فقد عرفت الزوجة عيوبه، وضعفه، وتستغل ذلك أسوأ إستغلال، وتركبه – كما تحكى الحواديت الشعبية – وتهز رجليها، آمرة له أن يتحرك بها فى أرجاء الدار. وفى أرجاء الحياة.

تفتش المرأة عن نقاط الضعف فى رجلها، وما إن تضع يديها عليها حتى تستثمرها وتستفيد منها، لكى تحكم سيطرتها عليه، واستبدادها به .. والسؤال :

– ألا يحدث هذا فى المجتمع الغربى؟ ألم تعد كل نسائه متسلطات يفترسن أزواجهن ويصبح الواحد منهم صفراً إلى اليسار فى بيته، الذى هو مملكتها .. والذى لا يستطع الرجل فيه أن يكون «رب الأسرة» فى مقابل كونها «ربة البيت»؟

الحقيقة أن إستبداد الرجل الشرقى بزوجته يحدث رد فعل عليها، ويجعلها تتحين الفرصة لا لتفلت من استبداده فحسب بل وتسعى هى بدورها لتستبد به. أما الغرب فقد أستقر به الحال وأصبحت المرأة هى الأقوى وقبل الرجل الوضع.

والإستبداد آفة، وكارثة تهدد المجتمع عامة، والأسرة خاصة .. والمستبد يعطى لنفسه من الحقوق مالا يتكافأ مع واجباته أو مسولياته .. والمعروف أن كل حق لابد أن يقابله واجب، لكن ذلك لا يحدث فى واقع الحياة، وما من محاسبة للمستبد حين يخطىء، وهو – أستغفر الله – لا يخطئ أبداً، ولديه دائماً مبررات لما يفعله، وما من أحد يرده، أو يردعه، وقد رأينا مستبدين كثيرين بشعوبهم، كذلك القيصر الذى كان يغنى وروما تحترق، ونموذج لويس السادس عشر ومارى أنطوانيت خير شاهد، وقائمة المستبدين فى روسيا طويلة، وفى الكتلة الشرقية عامة قبل إنهيارها، وشاوشيسكو دليل قاطع على أن المصير سيئ للمستبد والمستبد به ، ولعل

أساطير أئمة اليمن تكشف لنا عن طبائع الإستبداد بأحلى ما تكون تلك الطبائع، وشكراً للكواكبى الذى كتب لنا كتابا بهذا العنوان كانت أصداؤه واسعة، ويبقى أن يكتب أحدهم عن طبائع الإستبداد داخل الأسرة التى هى حلية من خلايا المجتمع، إن الإستبداد من الرجل يحول المرأة إلى دمية أو قطعة أثاث، والإستبداد من المرأة بالرجل يفقده كا رجولته، وإذا ما احتاجت إليها الأسرة فإنها لن تجدها، إذ سلبت منه، وما عاد بمقدوره استردادها، ولا شك أن إزاءها وإنشغاله بكسب الرزق، وأذا كانت الأسباب لتمكن أحدهما من فرض إرادته، فإن ذلك لم يكن قط لصالح الأسرة كاملة، ولست أنسى ذلك الصديق الغربى الذى يزور بلادنا لأول مرة وسألنى.

– من له الكلمة الأول فى الأسرة فى مجتمعكم؟.

– الرجل «يقول» : إنها له .

وضحك لدى كلمة «يقول» وسأل :

– وماذا فى الواقع ؟

– أنت تعرفه كما أعرفه .

ومن جديد ضحك، فهو يعلم يقيناً أن الكثيرين لم يتبينوا الفارق بين أن يكون الرجل رب الأسرة، وأن تكون المرأة ربة البيت.. إذ يختلط معنى البيت بالأسرة لدى هؤلاء ، فتضطرب بها وبه سفينة الحياة وسط أمواج الصراع.

ونموذج «نورا» فى «بيت الدمية» مسرحية الكاتب النرويجى أبسن تتمثل لنا فى مثل هذه الظروف، إنه ذلك الزوج الذى يحول زوجته إلى مجرد

«دمية» وليست إنساناً له أفكاره ومشاعره وأحاسيسه، وإنسانيته، وتتنبه الزوجة لذلك، وتجد نفسها منساقة إلى طريق يهدر آدميتها، فى حين يتصور الزوج أنها غافلة، ساذجة، ويجد نفسه فى النهاية وقد خرجت زوجته من الدار، وصفقت الباب من ورائها مصرة ألا تعود إليه، وألا تستمر فى مثل هذه الحياة التى تجردها من كونها (إنسانة)، وما أكثر الذين ينسون هذا الدور للمرأة، إذ تستغرق فى شئون الزوج إرضاء له أو فى أمور الدار، أو فى تربية الأطفال أو فى عملها خارج البيت : هى أربع مهام ثقيلة، كل منها على حدة يمكن أن يبتلعها بالكامل، فما بالنا لو أجتمعت كلها مرة واحدة، وألقيت على أعبائها؟ وقتها سوف تنسى المهمة الخامسة أى كونها «إنسانة» لها أن تحيا بعض الوقت لنفسها، وتقرأ كتاباً أو تسمع قطعة موسيقية، أو ترقى بذاتها بشكل أو بآخر، ذلك هو الجانب المنسى الذى يمكنها أن تمضى من دونه، وحين تكتشفه تجد أنها قد أضرت بنفسها إضراراً بالغاً ولا يفيدها ساعتئذ أنها أدت المهمات الأربع الأخرى خير أداء.

إن المرأة يجب ألا تنسى كونها «إنسانة».

هل هناك من حل جذرى ؟

هذا سؤال يطرح نفسه ، والجواب بالطبع : لا .. إذ يختلف الناس فى إمكاناتهم وقدراتهم ورغباتهم واحتياجاتهم، إن هناك زوجة تريد أن تفرض رأيها ونفسها مهما كلفها ذلك، حتى لو أدى بالحياة الزوجية إلى الإنهيار، والعكس صحيح ، هناك زوجات يشعرن بالأرتياح إذا تحمل الزوج كل المسئوليات، وإزاء ذلك يحصل على كل الحقوق والعكس صحيح، وربما

كانت المرأة الشرقية أميل إلى اللون الأول، فهى ليست مدرسة بقدر كاف حتى الآن على مجابهة المشكلات والمصاعب، فتركن إلى الزوج، الذى يقوم بها مقابل أن تكون له الكلمة الأولى، وربما كانت المرأة الغربية أكثر رغبة وقدرة على إدارة شئون العائلة، بينما لا ينشغل الرجل إلا بعمله، فتتحقق لهذه المرأة الكلمة العليا، ونضحك فى بلادنا على تلك الفكاهة العالمية التى تقول إن الزوجة هى التى تهتم بالأمور الثانوية مثل كل أمور البيت والأولاد والميزانية و .. و .. بينما الزوج يهتم بالأمور الكبر مثل حرب الخليج، ومشكلة البوسنة والهرسك وأزمة الشرق الأوسط وما إلى ذلك.

ولسوف تبحث الإنسانية بإستمرار عن طريق يجعل الحياة مستطاعة ومستطابة بين إثنين قرراً أن يمسك كل منهما بمجداف، لكى يمض الزورق، ويشق طريقه وسط الضباب فلا تغرقه الأمواج والعواصف .. وهى – أى الإنسانة – يصعب عليها أن تضع نظرية لهذا، إذ تختلف الأفكار والمشاعر وتتباين لكنها لن تكف عن السعى لاستقرار الأسرة.

يعتقد كل فرد أنه .. صاحب سلطة !!
ولكن غرس القيم النبيلة مسئولية الأم

وأنت عارف أنت بتكلم مين، عبارة سحرية تذكرنا بعلى بابا وأفتح يا سمسم .. وتربى عليها فئة من أبناء أصحاب المنصب والمال حتى تحولت الى ظاهرة من العنف الإجتماعى وعدم احترام القانون .. ونحن هنا ندق ناقوس الخطر. تبدأ د. زينب عفيفى أستاذ الإجتماع بجامعة المنوفية حديثها قائلة: سطوة المال والسياسة وغيبة القانون أحياناً كلها عوامل ساهمت فى

تحول الحرية الشخصية إلى عنف إجتماعى باستخدام السلاح السحرى.

«أنت عارف أنت بتكلم مين» وهى عبارة ذهبية تفتح كل الأبواب وتوقف تنفيذ القانون وتلتقط الاستثناءات والامتيازات المختلفة. وعندما ينمو النشئ الجديد فى ظل هذه الظروف نجدهم يتباهون بانتمائهم إلى أشخاص وليس إلى عائلة أو مجتمع كما كان يحدث بالأمس .. فيتحول المجتمع إلى مجتمع أفراد يشعر أبنائهم أنهم طبقة مميزة فيصبحون أداة للعنف بإستخدام هذه العبارة وكأنها «أفتح يا سمسم».

أضافت أنه بلا شك أن هناك خللاً إجتماعياً حدث فى المجتمع بدأ من الأسرة وأنتقل إلى المدرسة ثم تأثرت به كل مؤسسات المجتمع وساعد على هذا التغيرات السريعة التى تحدث فى العالم كله وسوء استخدام الدمقراطية وعدم احترام حرية الآخرين.

توزيع الأدوار !

أكدت أن الأسرة الآن لم تعد تحترم توزيع الأدوار ففى الماضى كان الرجل أو رب البيت رأيه يحترمه الجميع وينفذ عليهم وعندما اختل هذا الدور وتميع دور الأب تأثر الأبناء وساءت المسألة أكثر دخول المدرسة والاصطدام بأحوال التعليم والتغيرات السريعة به وتحكم الطالب فى المدرس وإختفاء الإنضباط.

وكل هذا أنعكس على الجامعة وكل مؤسسات المجتمع .. والمؤكد أنها مر حلة إنتقالية يتحول فيها المجتمع من إقتصاد شمولى إلى إقتصاد حر ومن قيم تسلطية الى قيم ديمقراطية فيإطار التغيرات العالمية ، ومن الممكن حدوث كثير من الخلل أثنائها وبشكل مؤقت.

لكن يجب على الأم أن تنتبه لتقضى على العنف الإجتماعى فلا تتخلى عن دورها فتغرس فى أبنائها قيماً وتقاليد وعادات وموروثات المجتمع لتنشئ جيلاً سليماً وليعود الأب إلى ما كان عله بالأمس رمزاً للقوة.

وبالطبع نفس الشئ بالنسبة للمدرسة وكفانا قرارات تعليمية جديدة متخبطة، أيضاً الإعلام خاصة أن ثقافة أولادنا الآن تعتمد على التليفزيون فعلينا الحذر ثم الحذر مما تقدمه لهم ولتجذبهم للبرامج العلمية الثقافية التى تزيد وعيهم وتنمى معلوماتهم.. ونختار القدوة من العلماء والمثقفين فلا يصح أن يكون قدوة شبابنا صاحب أغنية «فرقعت» ونترك المثقفين والأعلام.

صورة الأب

وترى د. زينب حسن رئيس قسم أصول التربية بكلية البنات جامعة عين شمس أن نشأة الطفل فى أسرة تهتز فيها صورة الأب ولا يجد أمامه شخصاً كبيراً يفهم الصواب من الخطأ.. ولا يدرى ما هو العقاب فينفذ ما يريد دون أن يردعه أحد وتستمر المسألة فيدخل المدرسة وأيضاً تهتز صورة السلطة ممثلة فى المعلم المشغول بالبحث عن لقمة العيش فلا يأخذ التعليمات والأوامر فى نفسه محمل الجد ويضرب بها عرض الحائط ويقوم بأى صورة من صور المخالفة ولا يجد من يحاسبه والنتيجة تصور كل واحد أنه صاحب السلطة والقرار وإنتهاء كلمة «آسف» أو «من فضلك» أو «شكرا» من قاموس حياتنا وغيرها الكثير.

ولأن هذه الكلمات كانت تمثل الإنضباط فى السلوك وتبنى جسراً من

المودة بين الناس فيجب أن نعانى من تبعات اختفائها، وهنا لا ألقى باللوم على الصغار وإنما على الكبار والبيت والقدوة فى الأسرة والجهاز الإعلامى والمدرسة والشارع، فلو وجد الطفل أمه وأباه عاقباه عندما لم يحترما القانون فلن يجرؤ على هذا فنحن نحتاج لأن يكون لدينا كبير نحترمه، قانون يطبق على الصغير والكبير وأن يكون الصواب والعقاب كل فى مكانه وإلا فلماذا خلق الله الجنة والنار.

ونحن أيضاً نحتاج إلى تربية الكبار ولو بالتوعية لأنهم المسئولون رقم واحد عن الصغار وليعود دور الأب مرة أخرى فى تربية أولاده وتعود هيبته فى إطار من الحب والحزم بما يمثلان من أهمية كبيرة فى التربية.

فساد إجتماعى

ويشير د. فرج أحمد فرج أستاذ الإجتماع بالجامعة الأمريكية، إلى أن هذه الظاهرة أحد أشكال الفساد الإجتماعى وتعنى فساد المؤسسات المجتمعية فكل صاحب منصب يستخدم منصبه وكأنه ملكية خاصة ويورث هذا لأبنائه وهى ظاهرة عالمية إلا أنها أكثر إنتشاراً بدول العالم الثالث.

يضيف : عندما يرى الطفل الأب أو الأم يستغلان المنصب فى تعطيل القانون دون رادع فأنه سيسلك نفس السلوك ويضفى على ذاته بعض أشكال العنف والتلوث الإجتماع أن صح التعبير ولن أقول إلا أن المسألة تحتاج إلى وقفة!!

وفى جريدة الأهرام بتاريخ ٦ / ٨ /١٩٩٩ كتبت إيناس عبد الغنى تحت هذا العنوان تقول:

مفاتيح سعادتك الزوجية

إن الحياة رجل وإمرأة وكى يصبح بينهما مشاعر تزداد وتقوى حتى تصبح رباط مقدس أبدى (زواج) عليهما بالتعارف، والتعارف بين أى إثنين شاب وشابة يتم على ثلاث مراحل على حد قول الأستاذ الدكتور هاشم بحرى أستاذ الأمراض النفسية والعصبية كلية الطب جامعة الأزهر، الذى يوضح أن المرحلة الأولى يكون التعارف فيها مهذب وسطحى يتم فى مرحلة الخطوبة فكل منهما يحكى للآخر ما يحلم به وما يجب أن يحققه وأهدافه فى الحياة دون أن يتعمق كل منهما فى شخصية الآخر، يلى ذلك مرحلة التعمق العميق وهى عبارة عن التعرف الحقيقى عن شخصية الطرف الآخر، ولتعرف كل منهما على شخصية الآخر على كل منهما الكلام عن صفاته الشخصية مزاياها وعيوبها، وهنا عندما يتكلم كل واحد منهما عن صفاته تصبح هناك فرصة لإظهار ثلاثة أنواع من الصفات الأولى: الإثنين يتفقوا عليها، والثانية : صفات أخرى يختلف الإثنين عليها، ولكن يمكنهما التفاوض عليها أما الثالثة فهى مجموعة أخرى من الصعب التفاوض عليها للإختلاف الجذرى، ويقول الدكتور هاشم بحرى أنه هنا تأتى النقطة الهامة وهى الخلافات الزوجية أى ما بعد فترة التعارف ويأتى الزواج، وهو المرحلة الثانية التى فيها يتم تعارف كل منهما على الحقيقة ، وهنا يصبح أمامهما طريقتين لبداية حياتهما الزوجية إما أن يبدأوا بما إتفقوا عليه، أو يبدأوا من النهاية وهى الصفات التى يمكن الإتفاق عليها، وهنا تتحدد العلاقة أى الخطوة رقم ثلاثة، إما الحياة الأسرية الجميلة الهادئة المبنية على التفاهم أو حياة شائكة مبنية على الإنتقادات المتبادلة، وهو دور

العلاج الأسرى، توضيح نقاط الإلتقاء والبناء المشترك للزوجين والصفات المتفقين عليها ومزايا كل منهما بدلاً من إجبار أحدهما على التغير لمصلحة الآخر الذى يحفز كل منهما ضد الآخر ويخلق جو من العناد وتصميم كل منهما على رأيه وتستحيل العشرة بينهما، ولكى نهدى مفتاح السعادة الزوجية للعروسين كان علينا أن نسأل من داخل العيادة النفسية الدكتور هاشم بحرى عن أكثر النقاط التى تؤدى إلى الخلافات الزوجية فى بدايتها فأجاب صراع السلطة بين الزوجين فالزوجة الآن إختلفت عن الماضى فأصبحت تتميز بقدرات مختلفة عالية الكفاءة عما سبق مثل قدرتها على الإعتماد على النفس ثقافتها العالية قدرتها على فهم المشاكل المحيطة بها ووضع بدائل للحلول، فالمرأة تتميز بالشمولية فى فهم المشاكل ورؤيتها والموضوعية فى وضع الحلول أو التعامل معها، بالإضافة إلى أن الأبناء دائماً ينحازوا لصف الأم فى المشاكل الأسرية ويتعاطفوا معها لإلتصاقهم الدائم بها مما يشعر الرجل بعدم القدرة على المواجهة أو التعامل مع الزوجة مما يؤدى إلى رغبة فى السيطرة عليها من خلال تقيد تصرفاتها وتضييق الخناق عليها وإختلاق المشاكل أمام الأصدقاء والأقارب متصيداً لها الأخطاء، كما أن الشاب والشابة قبل الزواج أنانيين بقدر كبير وكل منهما يحب الإحتفاظ بكل شئ لنفسه وتزداد هذه الصفة أكثر عند الشباب وبعد الزواج يطالب كل منهما الآخر بالتغير والتخلى عن الأنانية لمصلحة الأسرة (مصلحة الطرف الآخر) ويحدث التصادم بينهما ولأن المرأة عندها القدرة على عمل هذا بسلاسة والتخلى عن أنانيتها ولأن الرجل بطئ فى تخلية عن أنانيته ويصعب عليه القيام بهذا التنازل مما يصعب الأمور بينهما ويلقى

العبئ الأكبر على الزوجة إلى أن تستطيع أن تغير من زوجها بقدر وتجعله يتنازل عن جزء من أنانيته حتى تسير المركب فى سلاسة وهدوء بلا أعاصير وعواصف أما فى حالة إصرار الزوج على أنانيته وعدم رغبته فى التنازل والتضحية والعطاء وعدم قدرة الزوجة على تغيره وشعورها بإستغلال الزوج لها أو شعور الزوج بإستغلال زوجته لها وأنانيتها فتستحيل الحياة بينهما لذا يجب أن تبنى فكرة الزواج على التضحية (التنازل لتحقيق مصلحة الأسرة ككل) ففى حالة أنانية أحد الأطراف وشعوره بأن تضحيته سوف تنسب للطرف الآخر ولا تنسب له أو للأسرة ككل إحتفظ بها لنفسه، لذلك ننصح كل زوجين حديثى الزواج أن يبدأوا حياتهما بحب صادق شعاره التضحية ورغبة كل منهما فى إسعاد الآخر وتقديم بعض التنازلات والتخلى عن الأنانية والعناد ومحاولة التقارب فى الأفكار والأهداف فى الحياة حتى يتجاوبوا دائماً ولا يتنافروا ويصبحوا مثلاً يحتذى به أبنائهم فى السعادة الزوجية.

الزواج .. مودة ورحمة

ويقول الله سبحانه وتعالى : «ومن اياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة» صدق الله العظيم . بهذه الكلمات المباركة تكون هى أولى الكلمات التى يبدأ بها عقد الزواج فهى بمثابة دستور الحياة بين الزوجين والتى يجب أن يعرف العروسين جيداً ليست مجرد آية تقال فى طقوس عقد القرآن وتنتهى معالمها فى أذهانهم بعد حصولهم على قسمة عقد الزواج بل الهدف أن تطبق كل كلمة ذكرت خلال هذا القعد فهو بمثابة تعهد يجب أن يفى بكل مفرداته وهى التعامل بالمودة والرحمة بين

الإثنين كما جاء فى الآية الكريمة وإلا سيصبح مخل بما قيل أثناء العقد.

وهذا أكده العلماء والمتخصصين فى الشريعة الإسلامية ومنهم د. زينب رضوان عميدة كلية دار العلوم فرع الفيوم بجامعة القاهرة تقول الزواج آية من آيات الله فى الخلق، وهذه الآية الكريمة تشكل دستور الحياة وكيفية التعامل بين الزوجين وتعد من آيات التأمل فى اللغة العربية فنجد «من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً» هى أول قيمة للمساواة والتكافىء بين الرجل والمرأة، وبعض الحروف تبرر الحكم «لتسكنوا إليها» ليتحقق للإنسان السكينة فالسكن هو المكان الذى يهدئه فيه الإنسان ويستريح ويتخفف من كل أعباء الحياة فكل منهما يشعر بجوار الآخر بالراحة والهدوء والسكينة.

وتضيف أن المودة والرحمة أعلى وأعمق من الحب الذى سرعان ما يزول بعد الزواج ولكى يتحقق المودة والرحمة وضع الله شروطاً لإنجاح الزواج منها التدقيق فى إختيار العروس والعريس وهذا ما أكده الحديث الشريف فى إختيار الزوج المناسب «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه» ولأختيار الزوجة «فأظفر بذات الدين تربت يداك».

حقوق المرأة

ومن حقوق المرأة التى قد لا يعرفها الكثيرين أن من حقها أن تحتفظ بالمهر لها دون أن تشارك فى تأسيس البيت وذلك ليكون سنداً لها عند الحاجة، كما أن المرأة غير مكلفة بخدمة الزوج فهى للأحصان وليست للخدمة طالما قادراً مادياً على أستئجار من يخدمها.

معنى الزواج

ولأن الزواج يقوم على المشاعر والمودة فهى التى ترسم ملامح علاقتهما الإجتماعية وأحساسيهما النفسية ولأهمية وجود المودة والرحمة يؤكد لنا د. عادل صادق أستاذ الطب النفسى بجامعة عين شمس فيقول أنه من أسماء الله الحسنى أنه الودود وهو الرحمن الرحيم إذن المودة والرحمة هما من بعض صفاته سبحانه وتعالى لذلك لا حدود لمعانى المودة والرحمة فالمودة مطلوبة فى السراء والرحمة فى الضراء وهى حكمة إجتماع الكلمتين فى أمر الزواج وهذه إشارة إلى أن الزوجين سيواجهان صعوبات الحياة معاً، فهناك أيام سهلة وأيام صعبة وأيام سارة وأيام محزنة.

والمودة هى اللين والبشاشة والمؤانسة والبساطة والتواضع والصفاء والرقة والألفة والتآلف، وإظهار الميل والرغبة والإنجذاب والتعبير عن الإشتياق وفى ذلك إكتمال السرور والإنشراح والبهجة.

أما الرحمة فهى التسامح والمغفرة وسعة الدر والتفهم والتنازل والعطف والشفقة والحماية والصر وكظم الغيظ والسيطرة على الغضب والإبتعاد عن القسوة والعنف والعطاء بلا حدود والتجرد من الأنانية والتعالى والغرور والنرجسية وهى معان تعلو على المودة وتؤكد قمة التحام الروح والترابط الأبدى الخالد بينهما ويظل الزواج باقياً ومستمراً ما أستمرت المودة والرحمة ولحظة الطلاق هى لحظة الجفاف الكامل للمودة والرحمة وإنتزاعها من القلوب.

وتحت عنوان نساء العالم كتب الأستاذ / محمد كمال غلاب فى جريدة

الحياة بتاريخ ١٩٩٩/٧/٤ قائلاً: قد يفكر بعض الناس أن التلطف مع الإناث والرفق بهن هو بسبب ضعف المرأة. والحقيقة هى أن التلطف مع الإناث هو آية اكتمال الرجولة ونمو فضائلها وهو أيضاً إن دل على شئ فإنما يدل على الأدب الذى يبذل للناس عامة سواء كن صغيرات أو كبيرات أو كن من الأسرة أم غريبات.

فى الغرب نراهم يقدمون المرأة على الرجل سواء كان فى الدخول أو الخروج أو الجلوس وغير ذلك.

لقد ظن بعض الناس أن العرب أهدروا حق المرأة فى الجاهلية، وكانوا يهينونها ولم تكن لها مكانة عندهم لكن إذا عممنا هذا القول عن العرب عامة أو جملة فإننا بذلك قد أفترينا فى حكمنا لكننا نقول: «إن هذه الأفعال من إهدار كرامة المرأة وإهانتها، إنما كان من بعض سفهاء العرب - صنعوا ذلك فى الجاهلية وحدث عنهم القرآن الكريم.

«وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون» (سورة النحل).

«وإذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت» (سورة التكوير) نعم كانت المرأة فى الجاهلية مهانة لكن كان هذا عند بعض الناس ولا يمكن أن نؤاخذ الأمم جملة بما يفعله بعض سفهائها. إن العربى الأيل كان يكرم زوجته ويعطيها حقها ويشفق عليها وقد يبذل نفسه فيموت من أجلها ليصون عرضه مهما كانت النتائج.

هى تسأل لتطمئن على رضا ربها عز وجل وهذه السيدة الفاضلة أخى المسلم وأختى المسلمة أريد أن نتعرف على شخصيتها قبل أن نورد رد الرسول ﷺ عليها.

هى أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية خطيبة النساء العربيات، ورسولهن إلى رسول الله ﷺ أو سفيرتهن.

هذه المرأة بايعت رسول الله ﷺ عندما هاجر من مكة إلى المدينة، وتلقت عنه كثيراً من العلم بل وتخرج على يديها كثير من التابعين، وكانت رضى الله عنها فصيحة بلغة جريئة، فهى من أجرئ النساء فى مواطن الحق، حتى سميت خطيبة النساء، ومن المعروف أنها عمرت وعاشت بعد رسول الله ﷺ دهراً طويلاً، وحضرت موقعة اليرموك وكانت تسقى الظماء، وتداوى الجرحى، ويروى أنها أخذت عمود خيمتها وانغمرت فى صفوف المسلمين فى هذه المعركة، فقتلت بهذا العمود تسعة من الروم.

ولقد سمعنا مقالتها مع رسول الله ﷺ ولما سمع الرسول – صلى الله عليه وسلم – قولها وسؤالها التفت إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال:

هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من هذه فى أمر دينها؟

فقال الصحابة : يا رسول الله .. ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا!!

فالتفت ﷺ بوجهه الكريم إليها فقال: «أنصرفى أيتها المرأة وأعلمى من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها «أى أن طاعة المرأة لزوجها، اعترافا بحقه، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله، وقليل منكن من يفعله».

هذا هو رد الرسول ﷺ على هذه المرأة الصالحة.

بل هناك أكثر وأكثر من هذا، ولقد بين الرسول الكريم ﷺ أن المرأة يوم القيامة تدخل الجنة من أى باب تشاء فأى شئ بعد ذلك؟

ولقد روى ابن حبان حديثاً يبين ذلك. قال رسول الله ﷺ «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها أدخلى الجنة من أى أبوابها الثمانية شئت».

ويروى أن أسماء بنت يزيد انصرفت بعد أن رد عليها رسول الله ﷺ إلى نساء قومها من العرب، وأخبرتهن بما قاله رسول الله ﷺ ففرحن وآمن جميعهن.

حتى إن النساء أيام رسول الله ﷺ عز عليهن أن يكون وقت النبى ﷺ للرجال فقط دون للنساء، فسألته أن يختصهن بيوم واحد من كل أسبوع، فلبى رسول الله ﷺ طلبهن، فإذا كان يومهن غدون على رسول الله ﷺ فجلسن إليه، فيقبل عليهن يجيب السائلة ويهدى الحائرة، ويأخذ بأيديهن جميعاً إلى النهج القويم، والصراط المستقيم وكان ﷺ فى مجلسه هذا على أتم ما يكون من الرحمة والرفق، فلا يشق عليهن ولا يكلفهن فوق ما تحتمل نفوسهن.

رفق الرسول ﷺ بالنساء المعروف أن النبى ﷺ أعطاه الله أسمين من أسمائه فقال: «بالمؤمنين رؤوف رحيم»، فقد كان ﷺ رؤوفا رحيما، ومن رفقه ﷺ بالنساء أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استأذن ليدخل على رسول الله ﷺ وكان عنده جماعات من النساء، كن بن يديه فلما أذن رسول

الله ﷺ لعمر بالدخول (تبادرن الحجاب) فلما رأى رسول الله ﷺ عمر تبسم، فقال عمر :

بأبى أنت وأمى يا رسول الله، ما يضحكك؟

فقال الرسول الكريم: رآك النساء فتبادرن الحجاب فالتفت عمر إليهن فقال يا عدوات أنفسهن تهبننى ولا تهبن رسول الله ﷺ؟

قلن له: أنت أفظ وأغلظ من رسول الله.

ومن أبدع مظاهر رفق الرسول بالنساء أنه ﷺ وقف بينهن وقد جئن يبايعن الرسول على أن يأتمرن بأوامر الله ويجتنبن نواهيه، فقال لهن الرسول : فيما استطعتن وأطقتن، فقلن: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، وكذلك كانت حياته ﷺ بين نسائه فى بيته كانت المثل الأعلى فى المودة والموادعة، وترك الكلفة، وبذل المعونة، وإجتناب هجر الكلام، ومره.

وهو ﷺ القائل: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى».

الرسول كان يعمل ويعاون نساءه

سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها ما كان عمل النبى ﷺ فى بيته؟

فقالت: كان فى مهنة أهله حتى يخرج إلى الصلاة، تريد بذلك أنه يعاونهن ويعمل معهن.

وكذلك كان من طريق التبسط ورفع الكلفة إلى درجة أنه وصل إلى حد السباق مع نسائه، فقد روى أنه كان يستبق هو وامرأته، كما حدثوا عن عائشة.

الرجل منا قد يستنكف أن يساعد زوجته فى البيت لكن الرسول كان يساعد نساءه، وقد يكون بعض الرجال جادين فى بيوتهم، لا يمزحون مع زوجاتهم بدعوى الرجولة، لكن الرسول الكريم كان يمزج مع نسائه ويتسابق معهن.

ومن هذه المدرسة، مدرسة محمد ﷺ التى تخرج فيها رجال ونساء كثيرون، نجد «فاطمة الزهراء» بنت رسول الله وهى فى بيتها تتولى طحن الدقيق والعجين، و«على بن أبى طالب» زوجها ينزع الماء ويحمله ويهيئه.

وكما كان الرجل يجاذب المرأة أمر العمل وتدبير المنزل، فكانت هى تجاذبه شئون العالم، وجد الحياة ومشاكلها.

المرأة تخرج للجهاد فى سبيل الله

حدثتنا كتب السير عن كثير من فضليات النساء خرجن فى رفقة رسول الله ﷺ إلى غزواته ليداوين المرضى، ويأسين الجرحى، ويسقين الماء للجنود، فكان لهن أجر المجاهدين فى سبيل الله.

أمية بنت قيس الغفارية

إنها فتاة خامر الإسلام قلبها وهى حديثة السن، فقد قدمت إلى رسول الله ﷺ وهى فى سن الرابعة عشرة من عمرها فبايعته، وخرجت إلى خيبر ولم تبلغ السابعة عشرة، وكانت زعيمة للطبيبات ، وقد أردفها رسول الله ﷺ خلفه أى ركبت خلفه فى سيره، وقد أحسنت بما تقدمت به، ومن الشرف العظيم أن الرسول قلدها بعد هذه الموقعة قلادة لم تغادر صدرها حتى ماتت، وأوصت وهى تنزع روحها أن تدفن هذه القلادة معها.

إن أمية قالت: أتيت رسول الله ﷺ فى نسوة من بنى غفار، فقلن يا رسول الله: قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا أى إلى الجهاد وهو يسير إلى خيبر، قالت: نخرج فنداوى الجرحى، ونعين المسلمين بما أستطعنا، فقال رسول الله: على بركة الله.

ليست هذه المرأة فقط التى جاهدت مع الرسول، بل إن هناك نساء كثيرات فضليات خرجن للجهاد فى سبيل الله منهن أم سنان الأسلمية، وحمنة وأخت أم المؤمنين زينب حضرت غزوة أحد، وأم أيمن «حاضنة رسول الله ﷺ وكعيبة بنت سعد الأسلمية، كانت تقام لها خيمة فى المسجد تداوى فيها المرضى، وتأسوا الجرحى، وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه حين رمى يوم الخندق عندها تداوى جراحه حتى مات رضى الله عنه، وقد أعطاها رسول الله سهم الرجل المجاهد رضوان الله عليها.

ومنهن أيضاً الربيع بنت معوذ، صحبت النبى ﷺ فى غزواته، وجلس على مقربة منها لما حضر زواجها، وسمع الغناء فى بيتها، عاشت رضى الله عنها حتى عهد معاوية بن أبى سفيان.

كرامة المرأة فى الإسلام

سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يمر فى هدأة الليل بشوارع المدينة المنورة امرأة وهى فى دارها تقول:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها

أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

فلم يعد وهو أمضى المسلمين فى ذات الله تعالى إلا نصر بن حجاج،

وكان من أجمل الناس وجها فنفاه إلى البصرة حتى لا تتمناه امرأة غير هذه.

ولقد عرف رسول الله ﷺ طوال حياته أنه لم يضرب امرأة أبداً ولا خادماً وهو القائل: «أتقوا الله فى النساء» و «استوصوا بالنساء خيراً».

وكان أغضب ما يكون إذا سمع بامرأة يضربها زوجها. وقد حدث ابن سعد فى طبقاته قال:

جاءت امرأة إلى النبى ﷺ قد ضربها زوجها ضرباً شديداً، فقام رسول الله فأنكر ذلك وقال: يظل أحدكم يضرب امرأته ضرب العبد، ثم يظل يعانقها ولا يستحى ولما نهى الرسول عن ضرب النساء قيل يا رسول الله: إنهن قد فسدن فقال:

«أضربوهن ولا يضرب إلا شراركم». قال شريح القاضى صاحب القضاء فى عهد عمر بن الخطاب ومن أعقبه من الخلفاء.

رأيت رجالاً يضربون نساءهم .. فشلت يمينى حين أضرب زينباً.
الإسلام يأمرك أيها الرجل بالترفيه عن زوجتك.

لم يقف الإسلام من كرامة المرأة ورعايتها موقف المكتفى بكف الأذى عنها فحسب لأنه لا يضرب المرأة إلا شرير، بل كان من سنة الرسول ﷺ الترفيه عن المرأة، والحرص عليها، وعلى سرورها، وعلى الرجل أن يشرح صدرها.

من المعروف أن الرسول أذن لفتيان الحبشة فلعبوا حرابهم ورماحهم بين يديه فى المسجد، ودعا عائشة رضى الله عنها وأشهدها ذلك المنظر

البهيج، فلا تزال ترقبه حتى تسأم فتتركه، ثم تعود إليه.

وحدثت عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر دخل عليها وبين يديها قينتان تغنيان وتلعبان بالدف يوم العيد.

منها حق اختيار الزوج وطلب يده، ولقد لعبت النساء دوراً مهماً فى الدعوة الإسلامية كما عرضنا قبل ذلك عرضاً وجيزاً عن بعض النساء.

نسيبة بنت كعب المازنية

خرجت نسيبة بنت كعب أم عمارة فى جيش المسلمين يوم أحد، تسقى العطشى، وتأسوا الجرحى، وكان النصر للمسلمين، ولكن الرماه الذين أوصاهم رسول الله ﷺ ألا يبرحوا أماكنهم مهما كانت الأسباب، ولكنهم لما رأوا النصر قد حالف المسلمين تركوا أماكنهم، ونسوا أمر قائدهم عليه الصلاة والسلام، فأغار المشركون على جيش المسلمين لما أنشغلوا بالغنائم ، وتناولتهم السيوف تنهل من نحورهم وتطعن فى ظهورهم فأنكشفوا وولوا مدبرين إلا عشرة فقط أو نحوهم من الصحابة هم الذين ثبتوا فى أماكنهم يدرأون الأذى عن رسول الله ﷺ ويحولون دون الوصول إليه.

وكأننا الآن نرى هذه البطلة أمامنا وهى تمسك بسيفها وتحمل قوسها وتصول وتجول بين يدى رسول الله ﷺ تنزع عن القوس، وتضرب بالسيف إنها كجيش بأكمله، وحولها أبو بكر الصديق وعمر وعلى وسعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، والعباس أيضاً معها ولداها وزوجها.

فكانت رضى الله عنها من أظهر القوم أثراً وأعظمهم موقفاً.

عندما كانت ترى الخطر يدنو من رسول الله إذ بها تبعد هذا الخطر، المهم أن يسلم رسول الله ﷺ.

وهذه شهادة من أشرف الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ شهادة صادقة من لسانه هو ، قال:

ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أرى نسيبة بنت كعب تقاتل دوني.

قال إبنها عمارة رضى الله عنه أيضاً جرحت يومئذ جرحا فى عضدى اليسرى ضربنى رجل كأنه «الرقل» ، أى كأنه النخلة فى طولها شبهه – بالنخل – ومضى هذا الرجل عنى، ولم يعرج على، وجعل الدم ينزف منى لا يرقأ، فلما رأى رسول الله ﷺ الدم وكثرته قال: أعصب جرحك.

فأقبلت أمى إلىّ، ومعا عصائب فى حقويها قد أعدتها للجراح، فربطت جرحى والنبى ﷺ واقف يتعجب وهو ينظر إلىّ، ثم قالت: انهض يا بنى فضارب القوم.

أرايتم هذه المرأة، وشجاعتها وحبها لله ورسوله إنه مشهد أليم على النفس، منْ منَ النساء تطيق أن ترى ولدها وهو جريح ودمه ينزف ثم تفعل كما فعلت هذه المرأة؟ تربط جرح ولدها ثم تقول له قم فجاهد وأضرب القوم!!

ولذلك نظر الرسول الكريم إليها وقال : ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟ تقول أم عمارة : وأقبل الرجل الذى ضرب ابنى فقال رسول الله ﷺ: هذا ضارب ولدك.

قالت : فأعترضت له، فضربت ساقه، فبرك، فرأيت رسول الله ﷺ

يبتسم حتى بدت نواجذه وقال: أستقدت يا أم عمارة ،أى أعطاك الله حقك وضربت ضارب ولدك،.

قالت: ثم أقبلنا نعله بالسلاح أى أقبلنا على ضارب ولدنا نتابع عليه الضرب بالسلاح حتى قتلناه،.

فقال ﷺ : الحمد لله الذى ظفرك، وأقر عينك من عدوك، وآراك ثأرك بعينيك. هذه المرأة الصالحة البطلة أصيبت فى هذا اليوم بثلاثة عشر جرحاً، وأحد منها فى عاتقها فنزف الدم منه، وهى رغم ذلك كله كالصاعقة الساحقة تضرب فى صدور العدو ما شاء الله لها أن تضرب، وتقف بين صفوفهم غير آبهة ولا دارية بالدم الخارج من جسدها لا تهاب أحدا ولا تخاف.

وإذا بالنبى ﷺ يقول لولدها عمارة أمك .. أمك .. أعصب جرحها، بارك الله عليكم من أهل بيت، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان فلم سمعت أم عمارة قول رسول الله قالت: يا رسول الله، أدع الله أن نرافقك فى الجنة.

فقال رسول الله ﷺ : ،اللهم أجعلهم رفقائى فى الجنة،.

فقالت أم عمارة: ما أبالى ما أصابنى فى الدنيا. وأشتركت نسيبة أيضاً فى حروب الردة، وقطعت يدها باليمامة وكانت قد أقسمت أن تقاتل مسيلمة الكذاب حتى يقتل أو تقتل، وقتل مسيلمة وجرحت أحد عشر جرحاً، وقدمت المدينة وهى جريحة وخرج أبو بكر الصديق لاستقبالها وهو خليفة.

ومر رسول الله ﷺ بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها

وأبوها مع رسول الله ﷺ ، فلما نعوا إليها خبر استشهادهم، فقالت: ماذا فعل رسول الله ﷺ ؟

قالوا: «خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين».

قالت : أرونيه حتى أنظر إليه.

قال سعد بن أبى وقاص: فأشير لها إليه حتى إذا رأته، قالت : كل مصيبة بعدك تهون يا رسول الله.

بطولة غريبة - خولة بنت الأزور الكندى

هذه المرأة من بقية بنات الملوك، هى أخت القائد العظيم ضرار بن الأزور الكندى وهى إحدى عقائل العر، وقد قتل أبوها بين يدى رسول الله ﷺ دفاعاً عنه، وأخوها ضرار من القادة المعروفين، وكان يقاس فى الحرب بألف رجل.

ومن العجيب أن هذه المرأة أتاها الله من جمال الوجه، ومضاء القلب ، ورباطة الجأش والاستبسال فى القتال، مالم يكن عند كثير من الناس.

قال الواقدى:

لما أسر أخوها ضرار بن الأزور فى موقعة أجنادين سار خالد بن الوليد فى طليعة من جنده لاستنقاذه، فبينما هو فى الطريق مر به فارس معتقل رمحه لا يظهر منه إلا الحدق وهو يقذف بنفسه ولا يلوى على ما راءه، فلما نظر خالد إليه قال:

ليت شعرى من هذا الفارس؟

وأيم الله إنه لفارس، وأتبعه خالد والناس من ورائه حتى أدرك جند الروم، فحمل عليهم وأمعن بين صفوفهم، وصاح بين جوانبهم حتى زعزع كتائبهم وحطم مواكبهم، وما هى إلا جولة واحدة، حتى خرج وسنانه ملطح بالدماء وقد قتل رجالاً وجندل أبطالاً، ثم عرض نفسه للموت مرة ثانية فأخترق صفوف القوم غير مكترث، وخامر المسلمين من القلق والاشفاق عليه شئ كثير وظنه بعض الجنود خالداً، حتى إذا قدم خالد قال له رافع بن عميرة:

من الفارس الذى تقدم أمامك؟

فلقد بذل نفسه ومهجته، فقال خالد: والله لأنا أشد إنكاراً وإعجاباً لما ظهر من خلاله وشمائله وبينما القوم فى حديثهم، خرج الفارس كأنه شهاب ثاقب، والخيل تعدو فى أثره ، وكلما أقترب منه أحد ألوى عليه، وأنهل رمحه من صدره حتى قدم المسلمون منه وأقترب منهم وأحاطوا به وناشدوه بالله من هو حتى يكشف أسمه، ويرفع لثامه من فوق وجهه وناشده خالد، وهو أمير القوم وقائدهم، فلم يحر جوابا فلما أكثر خالد أجابه وهو ملثم فقال:

أيها الأمير، إنى لم أعرض عنك إلا حياء منك، لأنك أمير جليل، وأنا من ذوات الخدود، وبنات الستور، وإنما حملنى على ذلك أنى محرقة الكبد، زائدة الكمد.

فقال خالد: من أنت ؟

قالت : أنا خولة بنت الأزور، كنت مع نساء قومى فأتانى آت أخبرنى أن أخى أسير، فركبت، وفعلت ما رأيت، فى هذه اللحظة وبعدما سمع خالد

ما سمع ورأى ما رأى صاح فى جنده، فحملوا وحملت معهم خولة على جند الروم حتى أنقلب الروم على أعقابهم، وكانت تجول فى كل مكان علها تعرف أين ذهب القوم بأخيها، فلم ترله أثراً، ولا وقفت له على خبر، وما زالت فى جهادها حتى أستنقذ لها أخوها.

ومن مواقفها الرائعة موقفها يوم أسر النساء فى موقعة صحورا، فقد وقفت فى النساء وكانت قد أسرت معهن، فقالت للنساء: خذن أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب، ونحمل على هؤلاء اللئام، فلعل الله أن ينصرنا، ثم تناولت كل واحدة منهن عموداً من أعمدة الخيام، وصحن صيحة واحدة، وألقت خولة على عاتقها عمودها، وتتابع النساء وراءها فقالت لهن خولة:

لا ينفك بعضكن عن بعض، وكن كالحلقة الدائرة، ولا تتفرقن فتملكن، فيقع بكن التشتيت وهجمت خولة، وهجم النساء وراءها وقاتلت معهن حتى استنقذن من أيدى الروم، وخرجن من الأسر وخرجت وهى تقول:

نحـــن بنـات تبـع وحميـر..

وضربنا فى القوم ليس ينكر

لأننا فى الحرب نار تسعـر ..

اليوم تسقون العذاب الأكبر

الحجاج بن يوسف الثقفى

يتحصن فى بيته خوفا من امرأة

إننا الآن أمام بطلة شجاعة زوجها القائد البطل شبيب بن يزيد قائد الخوارج وبطلهم، والقائم بالأمر فيهم.

هذه المرأة إحدى القادة الذين دوخوا البلاد، وروعوا الجيوش، كانت هى وزوجها يقودان جيش الخوارج وكأن الحجاج بن يوسف المعروف ببطشه وجبروته والذى يقال عنه:

سفاك دماء بنى أمية، عندما يسمع أسمها أو خبرها يمتلئ قلبه رعباً وفزعاً.

وقد خرج فى جنده ذات يوم وكلهم شاكى السلاح مستكمل العدة، مرهوب الهولة، فعرضت له هذه المرأة التى تدعى «غزالة الحرورية» فى أربعين فقط.

أما جيش الحجاج فكان أربعة آلاف فعندما رآها اختلط عليه الأمر وفزع قلبه رعباً، وولى هارباً يخلط فى قوله ولا يدرى ما يقوله، وهو المعروف بالفصاحة ، وأعرف الناس بمواطن القول ومن أحسنهم فى أساليب الكلام، ولكنه تلعثم لسانه وفى ذلك كتب عمر بن حطان إلى الحجاج بعدما سمع ما كان من الحجاج وقد كان الحجاج قد بعث فى طلبه للقبض عليه، ولكن عمران أنتهز هذه الفرصة وكتب إلى الحجاج قائلاً:

أسد علىّ وفى الحروب نعامة ..

إبداء تجفل من صعير الصاقر

هلا برزت إلى غزالة فى الوغى ..

بل كان قلبك فى جناى طائر

صدعت غزالة بعساكر ..

تركت كتائبه كأمس الدابر

وبلغ جسارتها وقوة قلبها أنها أقسمت لتصلين فى مسجد الكوفة بالعراق هى وزوجها، وفعلا ذهبت إلى المسجد، وظلت تصلى ركعتين أخذت فيهما نف النهار، تنظر ماذا يصنع الحجاج، أما الحجاج عندما سمع الخبر، تحصن فى قصره واستوثق من رتاج بيته.

ويروى أن الحجاج رمى إلى غزالة بخمسة جيوش، وهى تلتهمهم إلتهاما وتنتصر عليهم، حتى أصبحت العراق كلها تخشى غزالة الحرورية، وترجف عندما تسمع أسمها، وفى ذلك يقول «أيمن بن خزيم»:

أتينا بهم مائتى فارس ..

من السافكين الحرام العبيطا

وهم مائتا ألف ذى فونس ..

يئط العراقان منهم أطيطا

رأيت غزالة إن طرحت ..

بمكة هودجها والغبيطا

سمت للعراقين فى جمعها ..

فلاقى العراقان منها بطيطا

ألا يستحى الله أهل العرا ..

ق إن قلدوا الغانيات السموطا

وخيل غزالة تسبى النسا ..

وتحوى النهاب وتحوى النيطا

ولكن غزالة بعد كل ذلك قتلت فى موقعة الكوفة بين شبيب وبين الحجاج غافلتها فرقة من جند الحجاج من من ورائها بينما كانت تخوض فى صدور جنده، ومن بعدها قوض جند شبيب زوجها وعفا أثره.

هذه شجاعة المرأة المسلمة العربية، هذه الشجاعة لم تكن أثراً من الغلظة أو ظمأ من الدماء، ولا جفوة فى الخلق، ولكنها قوة فاضت بها وفرة الصبر، وقوة اليقين، وإذا كانت المرأة أثبت من الرجل إيمانا وأبر منه على ريب الزمان، فمالها لا تكون فى ساعة المحنة أبسل منه وأشد، وبين أيدينا حديث أنس بن مالك قال:

شهدت أم سليم «حنينا مع رسول الله ﷺ ومعها خنجر قد حزمته على وسطها وإنها يومئذ حامل بعبد الله بن أبى طلحة فقال أبو طلحة:

يا رسول الله ، إن أم سليم معها خنجر فقالت يا رسول الله أتخذه إن دنى منى أحد من المشركين بقرت بطنه، أقتل به الطلقاء، وأضرب أعناقهم إن انهزموا بك، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: يا أم سليم، إن الله قد كفى وأحسن وكذلك ما رواه الحافظ فى البيان والتبيين قال : كان حبيب بن مسلمة الفهر رجلاً غزاء للترك، فخرج ذات مرة إلى بعض غزواته، فقالت له امرأته:

أين موعدك؟

قال لها : سرادق الطاغية ، أو الجنة إن شاء الله.

قالت: إنى لأرجو أن أسبقك إلى أى الموضعين كنت به فجاء زوجها فوجدها فى سرادق الطاغية تقاتل الترك.

الحـــب

أخى القارئ ، أختى القارئة، لقد استعرضت فيما مضى من الصفحات بعض الخواطر عن النساء الصالحات، ولنا عودة إن شاء الله تعالى إليهن فى أواخر هذا الكتاب لنختم به.

أما الآن فنحن فى حاجة ماسة إلى التحدث عن الحب.

والحب كشئ عام أو جده الله فى الأرض، وغريزة العاطفة الجنسية «أى الحب» تولدت فى الإنسان منذ أن ولد ووجد الذكر والأنثى على سطح الأرض.

ولقد كانت تلك العاطفة غريزة خلقها الله تعالى فى الذكر والأنثى، لدفعهما إلى التناسل وحفظ كل نوع من الفناء.

ولما تكاثر أولاد أدم عليه السلام وحواء وبناتهما فكان الذكور يستريحون لمعاشرة الإناث أكثر مما يستريحون لمعاشرة بعضهم بعضاً، وأيضاً الإناث كن يسترحن لمعاشرة الذكور أكثر مما يسترحن لبعضهن، والحب له سلطان قاهر مسيطر على الناس جميعاً، ولكن المجتمعات البشرية كانت ولا تزال تختلف اختلافا شديدا فى الإعتراف بضرورة الحب لربط كل فتى وفتاة برباط الزوجية المقدس.

واليهود كانت تحرم الحب وتكرهه أشد الكره قبل الزواج. وكان المجتمع الإغريقى، يجعل الرجل يتزوج المرأة ولا يراها إلا بعد الزواج لأن الفتيات الإغريقيات كن محجوبات فى بيوتهن، وبالتالى لا يرى شاب فتاة وكانت الفتيات خاضعات لسلطان أبائهن ولا يراهن الفتيان إلا نادراً.

وعلى هذا كانت الرابطة الزوجية عند اليهود والإغريق ضعيفة واهية، ونتج عن ذلك أن الأزواج من الرجال يتعرفون بنساء غير زوجاتهم، والزوجات يكن على علاقة برجال غير أزواجهن.

وفى بلاد الفرس والروم والهند كان الأمر شبيهاً بهذا، وذلك لأن الزواج يتم بين الرجل والمرأة دون أن يراها أو تراه.

طبعاً هذا الكلام هو ما قاله المؤرخون وعللوا أسباب فشل الزواج عندهم بعدم رؤية الرجل للمرأة، وأيضاً بعدم وجود الحب.

والذين قالوا هذا الكلام قد يقصدون بالحب أشياء قد يأباها الإسلام وينفيها ديننا الحنيف.

أما رأى الإسلام فى هذا الموضوع فسنتحدث عنه أيضاً بمشيئة الله بعد ذلك فى مكانه.

أما ما قالوه عن المرأة المصرية، قالوا. إن أول فتاة أظهرت وأعلنت حبها على مرأى ومسمع من الناس جميعاً، ولا لوم عليها هى الفتاة المصرية!!

لقد كانت الفتاة المصرية القديمة تناجى حبيبها قائلة: يا حبيبى الجميل .. أتمنى أن أعيش واياك كأمراتك، كما أتمنى أن تضع ذراعك على ذراعى وتمضى بى وفق هواك وعند ذلك أشكو لقلبى المحبوس فى صدرك كل آلامى !! لو أنك يا أخى لا تزرنى الليلة ، فلابد وأن أصبح كسكان القبور.

أو لست أنت الصحة والحياة؟ أو لست أنت حامل الصحة والفرح إلى قلبى الذى يبحث عنك؟

إن جماعات الأطيار تتلاقى على النهر، ولكنى أنصرف عنها ولا أفكر فيها .. يا غرامى الآن قلبى معقود بقلبك!

وكان الفتى المصرى، المحب، ينادى حبيبته بقوله:

أريد أن أرقد فى حجرتى لأنى مريض بسببك!

ولأن الجيران يفدون لزيارتى! آه لو ترافقهم حبيتى، لاستطاعت رد الأطباء عنى!!

لأنها وحدها تعرف سر مرضى!! ومن هنا عرفت سير براعتنا نحن المصريين ومهارتنا فى تأليف الأغانى التى نسمعها ليلاً ونهاراً، نجد المطرب ينوح بأغنيته لمحبوبته، ويبكى كالطفل المريض حتى ولو بلغ من الكبر عتياً، فإنه البلبل التعس والعندليب الحزين.

عرفت من قراءاتى عن الولع، والحب، والوجد، والهيام، فإنه من آلاف السنين عند المصريين.

والعرق كما يقال ، دساس. أجدادنا كانوا كذلك، وكذلك كنا نحن. الحب عند العرب. فالعرب كانوا يؤمنون بالحب، ويعترفون به، وكان المحبون العرب يجاهرون بحبهم، ويظهرون. ويصرحون بحبهم لحبيباتهم. وكذلك كان الشعراء يصفون حبهم فى قصائد طوينة ونحن نعرف عنتر بن شداد، الذى أحب وكان يناجى حبيبته «عبلة» قائلاً:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل .. منى وبيض الهند تقطر من دمى فوددت تقبيل السيوف لأنها .. لمعت بكارق ثغرك المبتسم.

وقد كان لا يهاب الموت، ولا يخشاه إنما يخاف اليوم الذى يموت فيه وتبكى حبيبته عبلة عليه.

يا عبلة لا أخشى الحمام وإنما .. أخشى على عينيك وقت بكاك

أعرابية تصف الحب

سئلت أعرابية عن صفة الهوى فقالت الحب أوله ميل تهيم به..

نفس المحب فيلقى الموت كاللعب يكون مبدؤه من نظرة عرضت..

أو مزجه أشعلت فى القلب كاللهب كالنار مبدؤها من قدحة فإذا ..

تضرمت أحرقت مستجمع الحطب، وقال أعرابى: إن الصبر على الهووى أشد من الصبر على البلاء، كما أن الصبر على المحبوب أشد من الصبر على المكروه.

ولام الناس بعض الحكماء على حبه الزائد عن حده لأنه فى ذلك أغضب ربه فقال:

لو كان لذى هوى أختيار لأختار أن لا يهوى، ووصل الحد بقيس، الذى أحب ليلى أنه كان يصلى، وهو لا يدرى كم صلى من الركعات ، فأنشد قائلاً:

أصلى فلا أدرى إذاما ذكرتها .. أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا

أرانى إذا صليت أقبلت نحوها .. بوجهى وإن كان المصلى ورائيا

وما بى إشراك ولكن حبها .. وعظم الجوى أعيا الطبيب المداويا

وقد كان المتيمون بالحب كثيرا وكثيرا حتى قال بعضهم قائلاً ومنشداً:

رأيت الحـب نيرانا تلظـى .. قلـوب العاشقين لهـا وقـود

فلو كانت إذا فنيت تقضت .. ولكـن مثل ما كـانت تعـود

كأهل النار إذا فنيت جلـود .. أعـيد مـن الشقـاء لم جلـود

الرقة والغزل عند العرب

لقد وصل الأمر بالعرب أن استطاعوا أن يصفوا الحب والغزل وغير ذلك من الوجد.

وقد روى عن محمد بن جعفر بن الزبير قال :

كنا عند عروة بن الزبير وعنده رجل من بنى عذرة، فقال له:

يا عذرى، بلغنى أن فيكم رقة وغزلا فأخبرنى ببعض ذلك؟

فقال : لقد خلفت فى الحى ثلاثين مريضاً ما بهم داء إلا الحب قد خامر قلوبهم، وإن فيه من المرارة والنكد والكمد ما هو مستعذب عند أربابه، مستحسن عند أصحابه، حلو لا تعدله حلاوة، ومر لا تعدله مرارة.

قال الكميت بن زيد فى ذلك:

الحب فيه حلاوة ومرارة .. سائل بذلك من تطعم أو تذوق

ما ذاق بؤس معيشة ونعيمها .. فيما مضى أحد إذا لم يعشق

وقال آخر :

يا أيها الرجل المعذب بالهوى .. إنى بأحوال الهوى لعليم

الحـب صاحبه يبيت مسهدا .. فيطير مـنه فؤاده ويهيم

والحب داء قد تضمنه الحشا .. بين الجوانح والضلوع مقيم

والحب لا يخفى وإن أخفيته .. إن البكاء على الحبيب يدوم

والحب فيه حلاوة ومرارة .. والحب فيه شقاوة ونعيم

والحب أهون ما يكون مبرح .. والحب أصغر ما يكون عظيم

قيس يصف حبه لليلى بعد زواجها

لما تزوجت ليلى العامرية صاحبة قيس بن الملوح هام على وجهه فى الصحراء وهو يقول :

لها فى سواد القلب تسعة أسهم .. وللناس فى ذاك المكان عشير

ولست بمحص حب ليلى لسائل .. من الناس إلا أن يقول كثير

وتنشر نفسى بعد موتى لذكرها .. فموت نفسى مرة ونشور

أتانى بظهر الغيب أن قد تزوجت .. فكادت بى الأرض البراح تمور

فقلت، وقد أيقنت أن ليس بيننا .. تلاق وعينى بالدموع تفور

فما أسرع الأخبار أن قد تزوجت .. فهل بأتنى بالطلاق بشير

فهو بتحدث ويصف حبها فى حبه قلبه أو داخل دم قلبه أن لها تسعة أسهم وللناس عشر العشر، أى جزء من مائه، وقوله إنه لا يستطيع إحصاء حبها لأى إنسان سأله فى ذلك، إلا أن يقول كثير أى هو حب كثيرة ثم يقول عن زواجها، وإنه ما كاد يسمع هذا الخبر حتى كادت الأرض الواسعة التى لا نبات فيها ولا شجر أن تمور به أى تتحرك وتضطرب، وعلى ذلك أنه لن يلقاها أبداً بعد ذلك، فعيناه تدمعان لفراقها، ويتحدث عن سرعة وصول خبر

زواجها إليه، ثم يقول ويسأل:

هل يأتينى بعد ذلك من يبشرنى ببشرى طلاقها.

هذا طرف بسيط من أنواع الحب عرضناه عرضاً موجزاً، وطبعاً، الإسلام لا يعرف إلا الطهر والعفاف والنقاء وليست كل البيوت قد بينت على الحب، إنما الحب الصادق هو العفة والقناعة والرضا بما قسم الله تعالى.

المرأة المصرية الحديثة

فتح العرب المسلمون مصر، ودخل المصريون فى دين الإسلام عن رضى وإقتناع وحب لهذا الدين العظيم.

إنه دين رفع شأن المرأة، وكرمها وأعطاها حقوقها التى سلبت منها بعد أن كانت محرومة مثلاً من التصرف فى مالها، وأعطاها حق أختيار الزوج وأوصى زوجها بها خيراً، فى المعاشرة والمعاملة بالمعروف والحسنى.

وأباح لها الإشتراك فى المعارك ، والشئون العامة.

من أجل هذا أرتفعت مكانة المرأة المصرية وزاد تقديرها وعلا مقامها، وعلمها الإسلام أن تستر جسدها بالحجاب الشرعى الذى يكسبها وقاراً، ومرت السنون، وتعاقبت على مصر دول لم تلبث أن زالت، حتى حكمتها الدولة الأيوبية، ونحن نعرف أن آخر ملوكها هى الملكة شجرة الدر ولم يستنكر المصريون أن تحكمهم امرأة.

وضعفت مكانة المرأة المصرية .. فى عهد المماليك، ولكنها مع ذلك كان لها حقوق أكثر من النساء فى أوروبا فى هذا العهد لم تكن لهن حقوق،

وكان الزوج له الحق فى ضرب امرأته بالعصا. وعزلت المرأة المصرية فى عهد العثمانين عزلاً تاماً، وأصبحت ملازمة لبيتها، وحرم عليها الأتصال بالعالم الخارجى، ونحن نسمع كلمة «إنتهى عصر الحريم» هذا اللفظ ولد منذ ذلك الوقت.

كان لنساء الطبقة العليا فى الدار أو القصر جناح خاص، يسكن فيه مع أطفالهن وجواريهن، اللاتى يقمن بخدمتهن وأطلق لفظ «حريم» الذى يطلق على النساء ولهذا اللفظ صلة وثيقة من الناحية اللغوية بفكرة «التحريم».

مواصفات الزوجة التي تسعد زوجها

للزوجة المؤمنة صفات وآداب لكى تسعد زوجها:

١- زهد الزوجة فى الدنيا والتعفف عن أكل الحرام وهكذا كانت عادة النساء فى السلف: كان الرجل إذا خرج من منزله تقول له امرأته أو أبنته إياك وكسب الحرام، فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار.

٢- ملازمة الصلاح والإنقباض فى غيبة زوجها والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة فى حضور زوجها ولا ينبغى أن تؤدى زوجها بحال، روى عن معاذ بن جبل قال رسول الله ﷺ «لا تؤدى إمرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك يوشك أن يفارقك إلينا».

٣- ألا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدرى زوجها لقبحه، فقد روى أن الأصمعى قال : دخلت البادية فإذا بامرأة من أحسن الناس وجهاً تحت رجل من أقبح الناس وجهاً، فقلت لها: يا هذه أترضين لنفسك أن

تكونى، تحت مثله؟ فقالت يا هذا أسكت فقد أسأت فى قولك، لعله أحسن فيما بينى وبين خالقه فحعلى ثوابه.

٤- أن تقوم بكل خدمة فى الدار تقدر عليها فقد روى عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما: أنها قالت: تزوجنى الزبير وما له فى الأرض من مال ولا ملوك ولا شئ غير فرسه وناضحه فكنت أعلف فرسه وأكفى مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقى الماء وأخرز عربه وأعجن، وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلثى فرسخ حتى أرسل إلى أبو بكر بجارية فكفننى سياسة الفرس فكأنما أعتقنى.

المراجـــع

١- القرآن الكريم.

٢- سند الترمذى.

٣- أختاه كيف تسعدين زوجك.

جمع وترتيب محمود المصرى (أبو عمار) - مؤسسة قرطبة.

٤- مكاشف القلق. المقرب إلى حضرة علام الغيوب فى علم التصوف لحُجه الإسلام، أبى حامد محمد بن محمد الغزالى، شركة الشمرلى للطبع والنشر.

٥- مقالات صحفية - بتصرف - بجريدة الأهرام/ الحياة / الأخبار.